أداء تلاوة القرآن الكريم في مصر بين القرطبي والأزهر الشريف ..... دراسة مقارنة

إعداد

د. فاطمة محمد منصور صقر
مدرس الدراسات الاسلامية
بجامعة قناة السويس

دورية الانسانيات. كلية الآداب. جامعة دمنهور
العدد الحادى والستون - يوليو - الجزء الأول- لسنة 2023

أداء تلاوة القرآن الكريم في مصر بين القرطبي والأزهر الشريف
دراسة مقارنة

ملخص البحث

للصوت المصري التفرد في أداء القرآن الكريم من خلال مدرسة متفردة تدرس طريقتها على مستوى العالم العربي والإسلامي، وهذا ما لاحظه القرطبي من اختلاف أداء الصوت المصري للقرآن الكريم عندما دخل مصر مهاجرًا متنقلًا إلى صعيدها بالمنيا عما كان في الأندلس، الأمر الذي دفعني لاختيار هذا الموضوع والبحث فيه.

والبحث يشتمل على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وثبت بالمصادر والمراجع:

اشتملت المقدمة على موضوع البحث، وأسباب اختيار البحث، وأهداف البحث، والمنهج المتبع فيه، والدراسات السابقة عليه، وخطة البحث. أما التمهيد تناولت في بداية البحث التعريف بالقرطبي، ثم تناولت جمال الصوت القرآني بصفة عامة، وجمال الصوت القرآني من خلال أداء القراء المصريين المتنوعة بصفة خاصة. وجاء المبحث الأول بعنوان: رأي القرطبي في أداء قراء مصر، وتحدثت فيه عن موقف القرطبي وتحامله على أداء القراء المصريين في عصره.

المبحث الثاني: رأي الأزهر في أداء قراء مصر، وبينت فيه الدور الذي قام به الأزهر على حماية كتاب الله، ثم قارنت موقف القرطبي بموقف الأزهر، وتبين أن موقف الأخير كان منطقيًّا وموضوعيًّا، مفندًا ذلك بالشرح والتفصيل من خلال أدلة وأقوال علماء التخصص، سواء في عصر القرطبي أو في العصر الحديث، مستنتجًا من ذلك أن الأول كانت فتواه في طور النشأة وعدم وضوح الرؤية للحكم، بينما الثاني بعد استقرار علم المقامات وشيوع تعلمه ودراسة حكمه من خلال مجامع علمية. وكذلك الأول رأيه مرجوح لضعف أدلته واعتراض كبار علماء عصره عليه، بينما الثاني راجح لقوة أدلته ولكونه رأي الجمهور، مع العلم أن القرطبي والأزهر كان حرصهما على ضبط الأداء القرآني لدى القراء، وعدم الخروج عن الأداء الصحيح لكتاب الله تعالى، وجانب القرطبي الصواب لكونه عمم الحكم على قراء مصر، والصواب أن الألحان في غالب من تغنّى بالقرآن من قراء مصر لا يخرج عن ضوابط القراءة الصحيحة، وذلك جائز.

الكلمات المفتاحية : أداء – قراء – مقامات – مصر

The Performance of the Recitation of the Noble Qur'an in Egypt between Al-Qurtubi and Al-Azhar Al-Sharif: A Comparative Study

Summary

The uniqueness of the Egyptian voice in the performance of the Holy Qur'an is highlighted through a distinctive school that teaches its method at the level of the Arab and Islamic world. This was observed by Al-Qurtubi regarding the difference in the Egyptian recitation of the Holy Qur'an when he migrated to Egypt, moving from Andalusia to Upper Egypt in Minya. This motivated me to choose this topic for further investigation.

The research includes an introduction, a preface, two chapters, a conclusion, supported by sources and references: The introduction includes the research topic, reasons for choosing the research, research objectives, the methodology used, previous studies on the topic, and the research plan. The preface begins with introducing Al-Qurtubi, then discusses the beauty of the Qur'anic sound through the performances of diverse Egyptian reciters. The first chapter is titled "Al-Qurtubi's Opinion on the Performance of Egyptian Reciters." and discusses Al-Qurtubi's stance and criticism of the performances of Egyptian reciters in his time.

The second chapter is titled "Al-Azhar's Opinion on the Performance of Egyptian Reciters." It highlights the role played by Al-Azhar in safeguarding the Qur'an, then compares Al-Qurtubi's stance with that of Al-Azhar. It demonstrates that the latter's position was logical and objective, supported by explanations and details from evidence and statements of specialized scholars, both in Al-Qurtubi's time and in modern times. The conclusion drawn is that Al-Qurtubi's opinion was formulated during a stage of infancy and lack of clear vision in issuing judgements, while Al-Azhar's opinion came after the establishment of maqam studies and the widespread learning and study of its rulings through scholarly assemblies.

Furthermore, Al-Qurtubi's opinion was wavering due to the weakness of its evidence and the objections of eminent scholars of his time, whereas Al-Azhar's opinion was prevailing due to the strength of its evidence and being the opinion of the majority. It should be noted that both Al-Qurtubi and Al-Azhar were keen on regulating Qur'anic recitation among the reciters and adhering to the correct performance of the Holy Qur'an. Al-Qurtubi's view was more accurate as he generalized his judgement on Egyptian Reciters. The correct view is that the correct reading principles of most of the Egyptian reciters is simple and permissible.

Keywords:
Performance - Reciters - Maqamat – Egypt.

المقدمة:

نزل القرآن الكريم بمكة وكتب بتركيا وقرئ بمصر هذه المقولة حقيقة تاريخية لا مراء ولا جدال فيها، فلا خلاف في أن أغلب قراء مصر لتلاوة القرآن الكريم لهم أداء مميز في الأداء؛ لذا أصبح للصوت المصري التفرد في أداء القرآن الكريم من خلال مدرسة متفردة تدرس طريقتها على مستوى العالم العربي والإسلامي، وهذا ما لاحظه القرطبي من اختلاف أداء الصوت المصري للقرآن الكريم عندما دخل مصر مهاجرًا متنقلًا إلى صعيدها بالمنيا عما كان في الأندلس، لذا استلزم هذا البحث عدة أسئلة هنا، وهي:

هل أداء القراء المصريين يخالف ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

وهل يخالف ما كان عليه كبار القراء؟

وهل للأزهر دور في تصحيح مَن شَذَّ في أداء تلاوة القرآن بمصر؟ أو بمعنى آخر هل للأزهر دور الرقابة والمتابعة لمدرسة قراء مصر؟ وهل هذا الأداء تطور مع التقنية الحديثة إيجابيًّا؟

تلك الأسئلة وغيرها دعتني للوقوف على هذا البحث:"أداء تلاوة القرآن الكريم في مصر بين القرطبي والأزهر الشريف دراسة مقارنة ".

أسباب اختياري لموضوع البحث:

-الرغبة في كشف الحقيقة حول أداء الصوت المصري للقرآن الكريم، ودحض المقولات الخاطئة التي تتهمهم من خلال بيان الرأي والرأي الآخر.

منهج البحث:

اعتمدْتُ على منهج الموازنة من خلال الاستقراء والتحليل، لاستخراج موقف القرطبي والأزهر متَّبِعةً عزو المنقولات إلى أصحابها وتوثيقها.

أهداف البحث:

1-الكشف عن مكانة أداء القراء المصريين قديمًا وحديثًا.

2-تجلية موقف القرطبي من أداء قراء مصر.

3-بيان موقف الأزهر من الأداء القرآني لقراء مصر.

الدراسات السابقة:

- من بدع قراء القرآن الكريم في العصر الحاضر: دكتور رضا عبد المجيد، جامعة الأزهر بحث منشور، مجلة كلية أصول الدين العدد 11سنة 1426-2005م، وقد توصل الباحث

إلى حصر البدع المعاصرة لقراء القرآن بصفة عامة، أما هذا البحث فيتناول موقف القرطبي من قراء مصر في عصره مقارنة بموقف الأزهر حديثًا.

تمهيد: أ- التعريف بالقرطبي:

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي، ولد في قرطبة أوائل القرن السابع الهجري (ما بين 600 – 610 هـ)، وعاش بها، ثم انتقل إلى مصر، حيث استقر بمنية بني خصيب في شمال أسيوط، ويقال لها اليوم «المنيا»، وبقي فيها حتى وافته المنية في 9 شوال 671 هجرية.

عاش الإمام القرطبي مأساة الأندلس؛ حيث بقي بقرطبة حتى سقوطها، وخرج منها نحو عام 633هـ، فرحل إلى المشرق طلبًا للعلم من مصادره، وكانت مصر آنذاك في عهد الأيوبيين والمماليك، وهو العهد الذي وفد فيه القرطبي إلى مصر، وقد كانت محطًّا لكثير من علماء المسلمين على اختلاف أقطارهم، وأجناسهم؛ إذ وجدوا فيها أمنًا فقدوه في ديارهم، ومن هنا ندرك المكانة التي كانت تتمتع بها مصر لدى العلماء الذين وفدوا إليها من كل الأقطار، وهو ما جعل الإمام القرطبي يقصدها مباشرة بعد سقوط قرطبة؛ وذلك ليلتقي بعلمائها ويأخذ عنهم، ويؤيد هذا ما نقلته المصادر من تنقلات القرطبي في بلاد مصر، من منطقة لأخرى، باحثًا عن العلماء، ومن ذلك تنقله إلى الإسكندرية، والقاهرة، والمنيا [1].

ب- جمال الصوت القرآني:-

تميزت الأمة المصرية بميزات دون غيرها من الأمم على مدار الأزمنة، منها تميزها بصوت حباها به المولى في الأداء القرآني، فقرأ المصريون القرآن الكريم بصوت فريد ومخارج فريدة تحت علم المقامات الصوتية، القراءة المجودة(التحقيق-التمطيط).

فإذا كان للغة العربية مميزات تميزها عن غيرها من اللغات الأخرى، فللقرآن الكريم- وهو بلغة العرب – لغته الخاصة التي تميزه عن لغة أي نص آخر كتب بهذه اللغة.

وقد أشار إلى ذلك الرافعي في قوله: "إن طريقة نظم القرآن تجري على استواء واحد في تركيب الحروف باعتبار أصواتها ومخارجها، وفى التمكين للمعنى بحس الكلمة وصفتها، ثم الافتنان فيه بوضعها من الكلام، وباستقصاء أجزاء البيان وترتيب طبقاته على حسب مواقع الكلمات لا يتفاوت ذلك ولا يختل"[2].

---

(1) انظر: التلمساني (أحمد بن محمد المقري): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت –لبنان، ط1، 1997م، 2/ 10.

(2) مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ط دار الكتاب العربي، بدون تاريخ، 2/ 159، 160.

وقد بيَّن العلامة محمد عبد الله دراز جمال الصوت بالقرآن وتحسينه به فقال: "ولقد أتى القرآن بما يعجز الجميع حيث امتاز بنظامه الصوتي الذي لا يقترب منه، في خصائصه نظام أبدًا، ذلك النظام الصوتي في لغة القرآن متميز ويراعى فيه الجمال الصوتي الذي يبدو في أدائه، وفي استعمال حروفه وحركاته، ومداته وغناته، ووقفه وسكتاته، وفى نظمه.... إلخ[3].

للصوت في اللغة العربية – في رحاب القرآن الكريم – قيمة فنية، فضلا عن المعايير الدقيقة والضوابط المحددة لهذا الصوت. " ويتجلى هذا في اهتمام العلماء العرب بعلم الأداء لآيات القرآن الكريم، حيث وضعوا معايير لسرعة نطق الصوت اللغوي، فصنفوا تلاوة آيات القرآن من الناحية الصوتية باعتبار الزمن المستغرق في النطق إلى مستويات: 1- التحقيق 2- الترتيل 3- الحدر 4- التدوير"[4].

وقد كانت لكل هذه الميزات التي تميزت بها لغة القرآن الكريم وغيرها دور بارز ساعد على جمال الأداء لآيات الذكر الحكيم والترنيم به، فنظامه الصوتي البديع، بما يحتويه، هو الذي استهوى النفوس واسترعى الأسماع، وكان داعية إلى الإقبال عليه، وتأمله وتدبر كلماته.

إن لغة القرآن تختلف عن لغة البشر الطبيعية في طريقة أدائها، ويظهر هذا من خلال تطبيق أحكام التجويد الخاصة بنص القرآن ما بين تلاوة وحدر، وما فيه من تحزّن وتغنٍّ وحث عليه، وترغيب فيه، وإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا التجويد في التلاوة. ولقد قدم القارئ المصري أعذب الأصوات أداء للقرآن دون غيره من قراء العالم، فجابَ قراء مصر العالم

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" إن من أحسن الناس صوتًا من إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله تعالى"[5].

وعن فضالة بن عبيد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لله أشد أُذنًا إلى الرجل

(3) محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ط دار الثقافة، الدوحة -قطر، 1985 م، ص 101 - 102.
(4) محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، 2001م، ص 45-46.
(5) أخرجه ابن ماجة في سننه: ابن ماجة(أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني)(ت:275ه): سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، د.ت، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت بالقرآن، حديث رقم 1339، إسناده ضعيف لضعف إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع والراوي عنه، 425/1.

الحسن الصوت بالقرآن يجهر به، من صاحب القينة إلى قينة"[6].

ج- أنواع أداء قراءة القرآن الكريم:-

القرآن الكريم يقرأ على عشرة أضرب: بالتحقيق، وباشتقاق التحقيق، وبالتجويد، وبالتمطيط، وبالحدر، وبالترعيد، وبالترقيص، وبالتطريب، وبالتلحين، وبالتحزين. خمسة منها منهى القراءة بها، وهي: الترعيد والترقيص والتطريب والتلحين والتحزين، إذ ليس فيها أثر ولا نقل عن أحد من السلف رضي الله عنهم، بل ورد عن بعضهم أنه كره القراءة بذلك.

وخمسة منها أجاز الأئمة الإقراء بها، ونقلت عنهم على اختلاف فيها، وهي: التحقيق، واشتقاق التحقيق، والتجويد، والتمطيط، والحدر.

أما الترعيد في القراءة فهو أن يأتي بالصوت إذا قرأ مضطربًا كأنه يرتعد من برد أو ألم، وربما لحق ذلك من يطلب الألحان.

وأما الترقيص فهو أن يروم السكوت على السواكن ثم ينفر مع الحركة كأنه في عدو وهرولة، وربما دخل ذلك على من يريد التجويد والتحقيق، وهو أدق معرفة من الترعيد.

وأما التطريب فهو: إخلال القارئ بأحكام التلاوة وأصول الأداء مراعيًا أصول النغم والتطريب، فيفرط في المدود لإقامة اللحن، ويكثر من الغنن، وبذا يتفلت من قواعد التجويد مراعاة لمقام أو لوزن موسيقي، وهذا معيب غير مشروع.

أما من طرّب في قراءته ونغّم فيها مع تمسكه بأحكام التجويد والأداء فهو محسن غير مسيء. وفي الحديث: (زيّنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا). [7]

وأما التلحين فهو الأصوات المعروفة عند من يغني بالقصائد وإنشاد الشعر، وهي من ثمانية ألحان، وقد أتى القرآن بتاسع، وليس هو في موضع أصواتهم، والذي يلحن إذا أتى باللحن لا يخرج منه إلى سواه.

وأما التحزين فإنه ترك القارئ طباعه وعادته في الدرس إذا تلا فيلِيّن الصوت

---

(6) أخرجه ابن ماجة في سننه: مرجع سابق، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حسن الصوت بالقرآن، حديث رقم 1340، إسناده حسن، 425/1.

(1) ذكره ابن بطال في شرح صحيح البخاري، ابن بطال (أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك القرطبي)(ت: 449هـ)، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، مكتبة الرشد - الرياض / السعودية، 1423هـ - 2003م ، 10 / 542، ورواه أبو داود في سننه: أبو داود(أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني)(ت: 275هـ): سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط دار الرسالة العالمية، بيروت، 1430هـ - 2009م، كتاب أبواب فضائل القرآن، باب كيف يستحب الترتيل في القراءة، حديث رقم 1468، 2/ 594، إبراهيم محمد الجرمي: معجم علوم القرآن، ط1، دار القلم – دمشق، 1422 هـ - 2001 م، ص 94.

ويخفض النغمة كأنه ذو خشوع وخضوع، ويجري ذلك مجرى الرياء، لا يؤخذ به ولا يقرأ على الشيوخ إلا بغيره

وأما الحدر: فإنه القراءة السهلة السمحة المرتلة، العذبة الألفاظ، اللطيفة المعنى، التي لا تخرج القارئ فيها عن طباع العرب، وعما تكلمت به الفصحاء بعد أن تأتي بالرواية عن الإمام من أئمة القراء على ما نقل عنه من المد والهمز، والقطع والوصل، والتشديد والتخفيف، والإمالة والتفخيم، والاختلاس والإشباع، فإن خالف شيئًا من ذلك كان مخطئًا.

وأما التجويد: فهو أن يضيف إلى ما ذكرت في الحدر مراعاة تجويد الإعراب، وإشباع الحركات، وتبيين السواكن، وإظهار بيان حركة المتحرك بغير تكلف ولا مبالغة، وهو على نحو قراءة ابن عامر والكسائي.

وأما التمطيط: فهو أن يضيف إلى ما ذكرت زيادة المد في حروف المد واللين، مع جري النفس في المد، ولا تدرك حقيقة التمطيط إلا مشافهة، وهو على نحو ما قرأت به عن ورش عن نافع عن طريق المصريين عنه.

وأما اشتقاق التحقيق: فهو أن يزيد على ما ذكرت من التجويد روم السكوت على كل ساكن ولا يسكت، فيقع للمستمع أنه يقرأ بالتحقيق، وكذلك جميع ما نذكره من التحقيق فإنه يرومه، وهي تقرأ بعد القراءة بالتحقيق ليعلم أنه قد ضبط ذلك، وهي رياضة، وربما أخذ بذلك لغير حمزة، وذكر هنا الحكاية المتقدمة عن أبي الحسن العلاف.

وأما التحقيق: فهو حلية القراءة، وزينة التلاوة، ومحل البيان، ورائد الامتحان، وهو إعطاء الحروف حقوقها، وتنزيلها مراتبها، ورد الحرف من حروف المعجم إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره وشكله، وإشباع لفظه، ولطف النطق به، ومتى ما غير ذلك زال الحرف عن مخرجه وحيزه. [8]

المبحث الأول: رأي القرطبي في أداء قراء مصر.

اشتهر قراء مصر للقرآن الكريم بالمقامات الصوتية (التمطيط – القراءة المجودة)، ولاحظ ذلك القرطبي، وابن العربي، والطرطوشي، وغيرهم عندما دخلوا مصر، فكان لزامًا عليهم أن يبينوا رأيهم في هذا النوع من الأداء لقراء مصر، الذي كان مختلفًا عما سمعوه في الأندلس، وفي هذا المبحث أخص رأي القرطبي، ثم أحلل رأيه بالأدلة مستعينًا بأقوال

8- ابن البَاذِش(أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي)(ت: 540هـ): الإقناع في القراءات السبع، دار الصحابة للتراث، ص277.

علماء الاختصاص في هذا الشأن على النحو الآتي.

أولًا: رأي القرطبي في أداء القارئ المصري:

كتب القرطبي في كتابه التذكار بابًا في ترتيل القراءة والترسل فيها، وما ورد في حسن الصوت بالقرآن، وترك الترجيع والتطريب فيه، وما جاء في معنى التغني بالقرآن، وأنكر القراءة التي تقرأ في مجالس الملوك والجنائز، وتعرض لتلك المسألة في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي)، باب كيفية التلاوة لكتاب الله – وما يكره منها وما يحرم، واختلاف الناس في ذلك، فقد خصص القرطبي بابًا خاصًّا في كيفية تلاوة القرآن، فقد قال في نهاية هذا الباب: (قلت: وهذا الخلاف إنما هو ما لم يفهم معنى القرآن بترديد الأصوات وكثرة الترجيعات، فإن زاد الأمر على ذلك لا يفهم معناه فذلك حرام باتفاق، كما يفعل القراء بالديار المصرية الذين يقرءون أمام الملوك والجنائز، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز، ضل سعيهم، وخاب)[9]

والقرطبي بيَّن رأيه واضحًا في قراء عصره لاسيما في مصر، فقال: "وهذا الخلاف إنما هو مالم يبهم معنى القرآن بترديد الأصوات، وكثرة الترجيعات، فإن زاد الأمر على ذلك حتى لا يفهم معناه، فذلك، حرام باتفاق، كما يفعل بالديار المصرية الذين يقرؤون أمام الملوك والجنائز، ويأخذون على ذلك الأجور والجوائز، ضل سعيهم وخاب عملهم، فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله،..... بأن يزيدوا في تنزيله ما ليس فيه جهلًا، منهم بدينهم، وخروجًا عن سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، ورفضًا لسيرة الصالحين فيه عن سلفهم"[10].

أدلة القرطبي ووجه الاستدلال:

استدل بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان يمد مدًّا إذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم[11] واستدل بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته يقول:" الحمد لله رب العالمين" ثم يقف" الرحمن الرحيم" ثم يقف،

---

9) القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرج)(ت:671هـ): التذكار في أفضل الأذكار: ط دار البيان، دمشق، ط3، 1407هـ، ص171، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية –القاهرة، 1384هـ – 1964 م، 16/1.

(10) القرطبي: التذكار في أفضل الأذكار، ص 171.

11) ذكره ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني(أبو الفضل أحمد بن علي): فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب مد القراءة، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت، 91/9.

وكان يقرؤها" ملك يوم الدين".[12] واستدل بما روي عن زياد النميري أنه جاء مع القرّاء إلى أنس بن مالك فقيل له: أقرأ فرفع صوته وطرب – وكان رفيع الصوت – فكشف أنس عن وجهه – وكان على وجهه خرقة سوداء – فقال: يا هذا، ما هكذا كانوا يفعلون، وكان إذا رأى شيئًا ينكره كشف الخرقة عن وجهه. وروي عن مالك –رحمه الله –أنه سُئل عن النثر في القراءة للقرآن في الصلاة، فأنكر ذلك وكرهه كراهة شديدة، وأنكر رفع الصوت به. وروى ابن القاسم عنه، أنه سُئل عن الألحان في الصلاة، فقال: لا يعجبني، وقال: إنما هو غناء يتمتعون به، أو قال: يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم[13].

زاد القرطبي رأيه إيضاحًا بأن تأول كلمة " التغني" بالألحان والترجيع فيها، والتطريب ومعانى أخرى، وهي:

1–ذهب القرطبي في معنى حديث "زيّنوا القرآن بأصواتكم" بأنه ليس على ظاهره، وإنما هو من باب المقلوب؛ أي: زينوا أصواتكم بالقرآن، فقدم الأصوات على القرآن، وهو الصحيح. ويؤيده رواية: "زينوا أصواتكم بالقرآن"[14].

وقد بيّن الإمام القرطبي رحمه الله المراد بالتغني بالقرآن الكريم فقال:"وإلى هذا المعنى يرجع قوله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" [15]. أي ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن. وإليه يرجع قول أبي موسى الأشعري للنبي صلى الله عليه وسلم: "إني لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرًا" أي: لحسنت صوتي بالقرآن وزينته ورتلته"[16].

2–من معاني حديث"زينوا القرآن بأصواتكم" تزيين القراءة بأصواتنا، وتقدير ذلك: أن زينوا القراءة بأصواتكم، فيكون القرآن بمعنى القراءة كما قال تعالى: ﴿**وَقُرْآنَ الْفَجْرِ**

---

(12) أخرجه الحاكم في المستدرك، الحاكم النيسابوري(أبو عبدالله محمد بن عبدالله)(ت:405هـ): المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت – 1411هـ –1990م، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد بإسناد صحيح على شرطهما عن أبي هريرة، حديث رقم 2910، 2 / 252.

(13) القرطبي: التذكار في أفضل الأذكار، ص 160 – 161.

(14) الحديث سبق تخريجه.

(15) أخرجه البخاري في صحيحه، البخاري (أبو عبدالله محمد بن إسماعيل)(ت: 256ه): صحيح البخاري، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، اليمامة- بيروت، 1407ه- 1987م، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: "وأسروا قولكم أو اجهروا به"، حديث رقم7089، 2737/6.

(16) القرطبي: التذكار في أفضل الأذكار، ص 163 - 164

إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[17] أي قراءة الفجر، وقوله تعالى:﴿**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ**﴾[18] أي قراءته، فيكون معناه على هذا التأويل صحيحًا، إلا أن يخرج القراءة التي هي التلاوة عن حدها فيمتنع.

3-معنى يتغنى به في حديث "ليس منا من لم يتغن بالقرآن": يستغنى به عن غيره من أخبار الأمم، وهذا التأويل قول سفيان بن عيينه ووكيع بن الجراح، ورواه سفيان عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه. وإلى هذا ذهب البخاري محمد بن إسماعيل لاتباعه الترجمة في كتابه بقوله تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ** ﴾[19].

4- معنى يتغنى به في حديث "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" أي يتحزن به، أي يظهر على قارئه الحزن الذي هو ضد السرور عند قراءته وتلاوته، وليس من الغنية؛ لأنه لو كان من الغنية لقال: يتغانى به، ولم يقل: يتغنى به ذهب إلى هذا جماعة من العلماء منهم الحليمي، وهو قول الليث بن سعد، وأبي عبيد، ومحمد بن حبان البستي. واستدلوا بأن "رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء"[20]، وعضدوا هذا بما رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم "أقرأ عليَّ" قال: فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا"[21] فنظرت إليه فإذا عيناه تدمعان"[22].

5- التأويل الخامس لمعنى الحديث: ما تأوله من يستدل به على الترجيع والتطريب، فذكر عمر بن شبة قال: ذكرت لأبي عاصم النبيل تأويل ابن عيينة في قوله: يتغنى: يستغنى، فقال: لم يصنع ابن عيينة شيئًا وسُئل الشافعي عن تأويل ابن عيينة فقال: نحن أعلم بهذا، لو أراد النبي صلى الله عليه وسلم الاستغناء لقال: من لم يستغنِ، ولكن لما قال: يتغنَّ علمنا أنه أراد التغني.[23].

---

(17) سورة الإسراء: آية 78.

(18) سورة القيامة: آية 18.

(19) سورة العنكبوت: آية 51

(20) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب البكاء في الصلاة، حديث رقم 904، 2/ 173.

(21) سورة النساء: آية 41.

(22) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن، حديث رقم 5055،8/ 717.

(23) القرطبي: التذكار في أفضل الأذكار، ص167 – 168.

6- التأويل السادس في المراد بالتغني أي الجهر به، فقال: وهو ما جاء في الزيادة في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما أذن الله لشيء، كإذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به"[24]. وهو تفسير أم سلمة وأبي هريرة رضي الله عنهما، ويدل على صحة هذا ما رواه ابن ماجة في سننه "عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: أبطأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء، ثم جئت فقال: "أين كنت؟" قلت: كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك، لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام وقمت معه حتى استمع له، ثم قال: هذا سالم مولى أبي حذيفة، الحمد الله الذي جعل في أمتي مثل هذا"[25].

وبناء على تلك التأويلات مال القرطبي إلى قول كراهة أهل العلم رفع الصوت والتطريب في قراءة القرآن الكريم، وهم مالك بن أنس، وأحمد بن حنبل. واستدلوا بأن رسول الله صلى عليه وسلم: كان يمد مدًّا إذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم، يمد بسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم[26] واستدلوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقطع قراءته يقول:"الحمد لله رب العالمين" ثم يقف" الرحمن الرحيم" ثم يقف، وكان يقرؤها"ملك يوم الدين".[27] قال العلامة القرطبي رحمه الله:"والقول الأول أصح وهو قول المانعين للتطريب في القراءة والترجيع فيها"[28].

الرد على القرطبي وتفنيد أدلته:

1- نفى الشافعي ومن معه أن يكون المراد بالتغني الاستغناء؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم لو أراده لقال: "من لم يستغنِ" بدل "يتغنَّ" قال الطبري: المعروف عندنا في كلام العرب أن التغني إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع: ورد القرطبي كلام

(24) أخرجه مسلم في صحيحه، الإمام مسلم(أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري)(ت: 261ه): صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن، حديث رقم 792، 337/3.

(25) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في حُسن الصوت بالقرآن، حديث رقم 1338، 1/ 425. دار الفكر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

26) ذكره ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب مد القراءة، 91/9.

(27) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، دار الكتب العلمية- بيروت، 1411ه، ط1، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، 252/2، رقم الحديث 2910.

(28) القرطبي: التذكار في أفضل الأذكار، ص 160.

الطبري، وذكر أن الترجيع والتطريب فيه همز ما ليس بمهموز، ومد ما ليس بممدود، ويؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن وهو ممنوع. ثم ذكر القرطبي أن الخلاف في التطريب محله إذا لم يترتب عليه عدم فهم القرآن.[29] وأداء القارئ المصري مهمته إتقان مخارج الحروف ليتضح المعنى حتى يفهم القرآن الكريم.

2- جمهور العلماء أجازوا رفع الصوت بالقرآن والتطريب به؛ وذلك لأنه إذا حسن الصوت به كان أوقع في النفوس وأسمع في القلوب، منهم أبو حنيفة وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وابن المبارك، والنضر بن شميل، واختاره الطبري، وابن العربي وابن بطال وغيرهم [30]. واستدلوا على جواز التطريب ورفع الصوت بالقرآن بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "زينوا القرآن بأصواتكم"[31]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ليس منا من لم يتغن بالقرآن وزاد غيره يجهر به"[32].وعن عبد الله بن مغفّل رضي الله عنه قال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وهو على ناقته – أو جمله – وهي تسير به –وهو يقرأ سورة الفتح – قراءة لينة يقرأ وهو يرُجّع"[33]. قال النووي في التبيان: أجمع العلماء على تحسين الصوت بالقرآن ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط، فإن خرج حتى زاد حرفًا أو أخفاه حُرّم.[34]

3- إجماع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط، فإن خرج حتى زاد حرفا أو أخفاه حرم. وذهب إلى هذا القول الحنابلة والحنفية والشافعية، فعلى القارئ أن يراعي في قراءة القرآن قوانين النغم والأداء، ولعل من راعى الأنغام فقط كره القراءة ؛ لأن الغالب على من راعى الأنغام أن لا يراعي الأداء، فإن وجد من يراعيهما معًا فلا شك في أنه أرجح من غيره؛ لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء.

إذن محل الخلاف لدى العلماء الالتزام من عدمه بضوابط القراءة[35]، وما منعوه من أنواع الأداء القرآني لما يرونه مخالفًا عن أغلب أداء القراء المصريين الذين يؤدون بأداء

---

(29) انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، 72/9.
(30) انظر: القرطبي: التذكار في أفضل الأذكار، ص159.
(31) الحديث سبق تخريجه.
(32) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: "وأسروا قولكم أو اجهروا به" حديث رقم 7089، 2736/6.
(33) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب الترجيع، حديث رقم 5047، 8/ 710.
(34) النووي(أبو زكريا يحيى بن شرف الدين)(ت: 676ه): التبيان في آداب حملة القرآن، ط1، الوكالة العامة للتوزيع – دمشق، 1403هـ - 1983م،56/1.
(35

منضبط بضوابط القراءة الصحيحة مع تميزهم عن غيرهم، فالمقامات الصوتية (التمطيط- القراءة المجودة- التطريب) كلها في داخل الإطار الصحيح ما دام يلتزم بضوابط القراءة الصحيحة.

لذا فإنني أميل إلى أن قراءة القراء المصريين موافقة للقراءة الصحيحة، وذلك لما يأتي:

1- سبق القول بأن القرآن الكريم يقرأ على عشرة أضرب: بالتحقيق، وباشتقاق التحقيق، وبالتجويد، وبالتمطيط، وبالحدر، وبالترعيد، وبالترقيص، وبالتطريب، وبالتلحين، وبالتحزين. خمسة منها نهى أئمة القراءة عن الإقراء بها، وهي: الترعيد والترقيص والتطريب والتلحين والتحزين، إذ ليس فيها أثر ولا نقل عن أحد من السلف رضي الله عنهم، بل ورد عن بعضهم أنه كره القراءة بذلك. وخمسة منها أجاز الأئمة الإقراء بها، ونقلت عنهم على اختلاف فيها، وهي: التحقيق، واشتقاق التحقيق، والتجويد، والتمطيط، والحدر.

وقراء مصر يقرأون (بالتمطيط)، والتمطيط لم يرد النهي عنه، وهو أن يضيف إلى ما ذكرت زيادة المد في حروف المد واللين، مع جري النفس في المد، ولا تدرك حقيقة التمطيط إلا مشافهة، وهو على نحو ما قرأت به عن ورش عن نافع عن طريق المصريين عنه، ومن التمطيط أيضًا أن يثبت القارئ على الإعراب في موضع الرفع والنصب والجر، نحو قوله تعالى: (الرحيم... مالك يوم)، وأما غير المصريين، من البغداديين والخراسانيين والأصبهانيين، فإنهم يأخذون عن ورش عن نافع بغير تمطيط.[36]

2- قال الأهوازي[37]: سمعت جماعة يقولون: لا يجوز للمقرئ أن يقرأ منها بخمسة أضرب: بالترعيد، والترقيص، والتطريب، والتلحين، والتحزين[38]، ولم يذكر من بينهم التمطيط الذي يقرأ به قراء مصر.

---

36) النووي: التبيان في آداب حملة القرآن، ص280.

37) الأهوازي(الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد بن هرمز) (362هـ - 446 هـ) (973 - 1074 م) أبو علي مقرئ، محدث، متكلم. ولد بالأهواز، وقدم دمشق سنة 391 هـ، وسكنها، وقرأ القرآن بروايات كثيرة، وأقرأه، وحدَّث عن خلق كثير، وتوفي بدمشق في 4 ذي الحجة. انظر: ياقوت الحموي(أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي)(ت:626هـ): معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت - 1411 هـ - 1991م، 16/3.

38) ابن الباذش: الإقناع في القراءات السبع، ص276.

3- ابن العربي في الفترة التي زار فيها مصر، كان يتردَّد على مجالس القرَّاء، ويبدي إعْجابَه بطريقة القراء المصريين فيقول: "واستحسن كثير من فقهاء الأمصار القراءة بالألحان والترجيع، وكرهه مالك. وهو جائز (لقول أبي موسى للنبي عليه السلام: لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرًا) ؛ يريد لجعلته لك أنواعًا حسانًا، وهو التلحين، مأخوذ من الثوب المحبر، وهو المخطط بالألوان"[39].

4-رجح ابن حجر في الفتح القول بالجواز فقال:" ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم؛ لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع، وكان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالألحان...فحكي عن مالك تحريم القراءة بالألحان، والمنصوص من الشافعية الإباحة".[40]

5-ما ذهب إليه ابن حجر وابن العربي قاله ابن رجب الحنبلي وابن تيمية وابن خلدون، حيث نص ابن خلدون في مقدمته على أن الألحان الموسيقية خارجة عن محل النزاع في القراءة بالألحان، فقال:(لا ينبغي أن يُختلف في حظره؛ إذ صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه،.....،فلا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعتبر في القرآن بوجه، وإنما مرادهم التلحين البسيط الذي يهتدي إليه صاحب المضمار بطبعه كما قدمناه فيردد أصواته ترديدًا على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره، ولا ينبغي ذلك بوجه كما قاله مالك، هذا هو محل الخلاف). وقال(وأما قوله – صلى الله عليه وسلم – (لقد أوتي مزمارًا من مزامير آل داود) فليس المراد به الترديد والتلحين، إنما معناه حسن الصوت وأداء القراءة والإبانة في مخارج الحروف والنطق بها).[41]

6-جمال الأداء لآي الذكر الحكيم يكمن في معرفة القارئ لهذه السياقات أو المقامات والأغراض المعنوية وكيفية تأديتها بطريقة أدائية تستطيع تصوير المشهد بدقة وإحساس، بحيث تثير في نفس المستمع التأثر والانفعال بالمشهد ثم التدبر والاتعاظ، قال الزركشي: "إذا كان وعدًا أبهج، وإن كان وعيدًا أزعج، وإن كان دعوة حدب، وإن كان زجره أرعب، وإن كان موعظة أقلق، وإن كان ترغيبًا شوق"[42].

---

(39) ابن العربي المالكي(أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله)(ت: 543ه): أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 2003م، 4/4.

(40) انظر: ابن حجر العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، 72/9.

(41) ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي)(ت: 808ه): مقدمة ابن خلدون، ط5، دار القلم – بيروت، 1984م،426/1.

(42) الزركشي(أبو عبدالله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي)(ت: 794ه): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، ط. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاته، 1376هـ- 1957م، 4/1.

وقد وافقه في ذلك الشيخ محمد أبو زهرة؛ حيث قال: "إن التلاؤم في ألفاظ القرآن الكريم وجملة آياته ومواضع الوقف فيه ليس من المخارج فقط، بل هو فيما هو أعلى من ذلك، إنما هو في النغم وجرس القول وموسيقاه، فلا تجد حرفًا ينشز في موسيقاه عن أخيه، ولا الكلمة عن أختها، ولا الجملة عن لاحقتها، والآية كلها تكون مؤتلفة النغم في الغرض، الذي سبقت له، فإن كان إنذارًا كان النغم ادعاءً وإن كان تبشيرًا كان نسيمًا، وإن كان عظة كان تنبيهًا، وإن كان تفكيرًا كان توجيهًا لافتًا عما سواه"[43].

من هنا يتضح أن المقصود بالتغني بالقرآن الكريم في جملة الأحاديث هو تحسين الصوت، ومن أجاز القراءة بالألحان كبعض السادة الحنفية والشافعية والحنابلة اشترط التقيد والالتزام بأحكام التلاوة والتجويد، وعدم إسقاط شيء من الحروف، أو الإفراط في الغن والمدود، وألا يقرأ على صفة المغنين، وألا يطغى المقام على صحة الأداء وإلا صار حرامًا يأثم فاعله باتفاق الفقهاء؛ لأنه عدل به عن نهجه القويم.

المبحث الثاني: رأي الأزهر في أداء قراء مصر

فيما سبق من خلال المبحث الأول تبين أن تحسين الصوت عند قراءة القرآن سنة متبعة وأن الحدر والترتيل لا خلاف عليهما والتغني هو التحسين والتجويد والمزمار ليس المراد به لحنًا، وهناك فرق بين من يقرأ ليظهر المعنى وبين من يقرأ ليظهر صوته، وهناك فرق بين من يقرأ بأداء منضبط ومن لا يلتزم بذلك، كل ذلك يثبت لنا علامات ومعالم المخالفة في القراءة، مع العلم أن العلماء الذين تناولوا مسألة تحسين الصوت لقراءة القرآن استدلوا بحديث ابن مسعود وحديث أُبي بن كعب، ولم يذكروا حديث إلقاء الأذان" ألقِهِ على بلال فإنه أندى منك صوتًا"([44]). فإذا كان الصوت الحسن مطلوبًا في الأذان فهو أشد حاجة في قراءة القرآن؛ لإيضاح المعنى وهذا ما عليه غالب قراء مصر قديمًا وحديثًا.

وامتدادًا لمدرسة قراء مصر القديمة، هو ما عليه قراء مصر في المدرسة الحديثة الذين اشتهروا من خلال إذاعة القرآن الكريم، ومنهم الشيخ محمد رفعت، و محمود خليل الحصري، عبد الباسط عبد الصمد، محمد صديق المنشاوي، محمود علي البنا، مصطفى إسماعيل. وهؤلاء القراء استطاعوا الالتزام بالمقامات الصوتية، إلى جانب ما تمتعوا به من عذوبة الصوت، ودقة في مخارج الحروف، والوقف بحزم على الأحكام، ولنضرب مثالا

(43) محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى القرآن، ط. دار الفكر العربي، بدون تأريخ، ص 213.

44) ذكره ابن حجر في الفتح، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة- بيروت، 87/2.

على ذلك بعظمة الشيخ عبد الباسط عبد الصمد، وهو يتلو قول الله تعالى في سورة يوسف: ﴿ ﴾(يوسف: 23)، بجميع الروايات.

هذه هي مدرسة القراء المصريين الحديثة يعلو صوتها في مصر وفى ربوع العالم، ولم نجد تعليقًا من الأزهر، ولا من شيخ المقارئ المصرية إلا على من خالف الأداء المنضبط.

فحرصًا من الأزهر على حماية كتاب الله نجد أن القراء المصريين عندما يتلون القرآن بقصد التسجيل، يتم في حضور لجنة مكونة من ثمانية عشر عضوًا للمراجعة قبل إذاعته؛ لذا فقد رفض الأزهر الشريف الموافقة على توزيع تسجيلات الشيخ عبدالرحمن الحذيفي إمام المسجد النبوي في مصر وكان هذا في الثمانينيات من القرن الماضي؛ حيث إن إحدى اللجان في مجمع البحوث الإسلامية اكتشفت مئتي خطأ في تلاوته للقرآن الكريم، بالإضافة إلى أن نقابة القراء في مصر دورها الأساسي حماية كتاب الله تعالى من خلط التلاوات، فقد صرحت نقابة القراء: أن القارئ الطبيب صلاح الجمل لا يصلح قارئًا للقرآن الكريم بالإذاعة والتليفزيون، كما أيد مجلس إدارة النقابة قرار محمد نوار رئيس الإذاعة المصرية بصفته رئيس لجنة اختبار الأصوات باتحاد الإذاعة والتليفزيون والذي يقضي بمنع ظهور صلاح الجمل ووقف تلاواته.[45].

ومن الفتاوى ما أصدره شيخ المقارئ المصرية الشيخ محمد خلف الحسيني بمنع تعدُّد القراءة في المحفل الواحد، إلا في مجالس التعليم عند التلقي من شيوخ القراءات، ثم أكد شيخ الأزهر فتوى شيخ المقارئ حين دعا هيئة كبار العلماء للنظر في موضوعها فعرضوا نصوص الأئمة من أمثال ابن الجزري، والصفاقسي، والسيوطي، والأشموني، والداني، وكلها تجمع على ضرورة الالتزام بالقراءة الواحدة في المجلس الواحد إلا لضرورة التعلم في مجلس التدريس، كما أجمعوا على أنه لا تجوز القراءة برواية غير مشتهرة في بلدٍ لا يقرأ هذه القراءة إلا إذا وجد في المجلس عالمٌ كبير درس القراءة المشار إليها، ليعرف مبلغ القارئ من الصواب، بمعنى أن القطر المصري مثلاً ملتزمٌ بقراءة حفص عن عاصم، فلا يجوز لقارئ أن يقرأ بقراءة ورش عن نافع إلا مع حضور عالم بهذه القراءة، وهذا الشرط قد نستغني عنه الآن، لأن شرائط التسجيل للقراءات المختلفة لا تسجل إلا بعد موافقة الدارسين

(45) جريدة المصري اليوم، السبت 23-05-2020.

من ذوي الاختصاص» [46].

وفى تقديم الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر لكتاب "مع القرآن الكريم "للشيخ محمود خليل الحصرى ، نبه على بدعتين عند بعض القراء: الأولى ترك بعض الآيات أثناء التلاوة ، والثانية الجمع بين القراءات في المحافل ، وأضاف الشيخ الحصرى إلى تلك البدع السيئة التنقل من سورة إلى سورة . [47].

وكذا قال الأستاذ الشيخ علي محمود خليل: «لا يجوز للقارئ بقراءتين أو أكثر أن يجمع بين قراءتين في مقام واحد، بل عليه أنْ يفرد كلَّ قراءة عن أُختها فيلتزم قراءة واحدة حتى يفرغ من قراءته أو من جملة آيات على قراءة واحدة، ثم يرجع إذا شاء فيقرأ ما قرأه بقراءة ثانية وثالثة وهكذا، وهذه الطريقة تعرف عند القُراء بطريقة الإفراد، لأن القارئ فصل وأفرد كل قراءة على حدة، ولم يدخل على القراءة غيرها، وهذه هي الطريقة المثلى لقراءة القرآن، فهي أبعد عن الخطأ، وأسلم في الأداء، وهي أشبه برد كل حديث إلى سنده الخاص به من غير تركيب للمتن على غير سنده»[48].

وبسبب كثرة الشكاوى ضد عنتر مسلم في الثمانينيات بتهمة تحريف القرآن والقراءة الخاطئة، أصدر الأزهر قرارًا بمنعه من الإذاعة أو تسجيل شرائط كاسيت، وعلة المنع لدى الأزهر هي الجمع بين القراءات في محفل واحد، فـ "الجمع في المحافل بدعة منكرة، لا ينبغي إقرارها ولا السكوت عنها، والقراءة الواحدة في المحفل الواحد واجب مفروض، وقد خالف بعض القراء فقرأ ﴿❒◆♁♦❧❍⍓♎ ⇳❍✵♦❧❍♎ ❁❍✵⍂❍⍓♎①♦❧♎﴾(يوسف: 23) فيكرر عشر قراءات لهذا اللفظ وفى بعضها الشاذ المنحرف، ولا يجوز تعدد القراءات في المجلس الواحد إلا لضرورة التعلم في مجلس التدريس"[49].

ومن أمثلة مخالفاته:

1-أنه كان يقرأ قوله تعالى في سورة المائدة ﴿**فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ**﴾(المائدة: 31) يقرأه **(فبعث الله غرابًا يحفر في الأرض)**.

---

(46) مقال للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومي بعنوان (نشاز في تلاوة القرآن) جريدة صوت الأزهر، عدد الجمعة الموافق 12 محرم 1422هـ/6 إبريل 2001 م، ص4.

(47) الشيخ محمود خليل الحصرى ، مع القرآن الكريم ، الطبعة الرابعة ، القاهرة 2012، ص7،9، 63.

(48) الأستاذ الشيخ / علي محمود خليل: مذكرات في علوم القرآن، ط / دار شوشة للطباعة، ص45.

(49) بتصرف من مقال أ.د/ محمد رجب البيومي بعنوان "نشاز في تلاوة القرآن"، جريدة صوت الأزهر، عدد الجمعة الموافق 12 محرم 1422ه /6 إبريل 2001م، ص4.

2-أحيانًا يقرأ بقراءات، وإن وافقت العربية، ورسم المصحف، إلّا أنها شاذة وليست متواترة، مثل كلمة "حُشِرت" في سورة التكوير كان يقرأها "حُشِّرت"، وقد بحثنا عنها في كتب القراءات العشر الصغرى والكبرى، فلم نجد لها أصلًا. لقد كان هنا يقرأ بالقياس على ما سبق من كلمات في السورة نفسها "كُوِّرَت" و"سُيِّرَت" و"عُطِّلَت"، وهو أمر ممنوع شرعًا، لأن القراءة مسألة توقيفية وليست اجتهادية، أي تُقال كما نقلها الأئمة وتلقيناها عنهم، لا نزيد عن ذلك ولا نُنقص".[50]

لم يقتصر خطأ القراءة والأداء على الشيخ عنتر؛ بل وقع فيه غيره، أمثال القارئ محمد علي الطاروطي؛ حيث أخطأ في قرآن الفجر يوم السبت الموافق 7 مايو 2022، أثناء قراءته لسورة يوسف عند قوله تعالى: ﴿ ﴾(يوسف:31) فقرأها الشيخ (رأيناه) بمد النون قبل الهاء فغيرت المعنى من نون النسوة العائدة على هنَّ إلى نون الفاعل العائدة على نحن. فقرر رئيس قطاع التخطيط الديني بالإذاعة، وقف القارئ محمد علي الطاروطي، وإحالته للشؤون القانونية للتحقيق معه حول أخطائه الشنيعة المتكررة في تلاوات الهواء، مرفقًا بقائمة طويلة لأخطائه خلال التلاوة التي لم تتجاوز عشرين دقيقة.. للتحقيق واتخاذ الإجراء المناسب.

وإذا ما قارنا موقف القرطبي بموقف الأزهر يتبين ما يأتي:

1-ما لاحظه القرطبي يتعلق بالأداء فقط بعيدا عن نوع القراءة، هل هي متواترة أم شاذة، أما الأزهر فاعتراضه بسبب مخالفات في الأداء والقراءة، فالشيخ عنتر كان يقرأ بقراءات شاذة وكان يجمع بين أكثر من قراءة في نفس واحد وإعادتها أكثر من مرة، وفي كل مرة بقراءة مختلفة، هذا مع حسن صوته وقوة أدائه.

2-عارض رأي الأزهر الشريف الكاتب خيري شلبي في أداء عنتر مسلم، فتكلم عن مزايا التلوين في القراءات القرآنية ودلالاته، الذي يقول: "إن تلوين الأداء على السبع أو العشر ليس مجرد استعراض لألوان القراءات من "ورش" إلى "حفص"، وليس مجرد إشارة إلى اختلاف لهجات العرب، ومرونة القرآن الكريم في تقبله للقراءة على جميع لهجات القبائل التي نزل عليها الذكر الحكيم بلغتها، إن تلوين الأداء بهذا الأسلوب المنفرد إثراء للسان العربي، وإنعاش لذاكرة العرب، وعودة باللغة إلى بداوتها الأولى،

(50) الكاتب طايع الديب: الكروان الممنوع: قصة القارئ الشيخ عنتر مسلّم، وكالة الصحافة العربية- القاهرة، يوليو 2020، عن دار "ناشرون"، ص56.

وليس مجرد سيرة قارئ؛ بل إن له أبعادًا وجذورًا سياسية وتاريخية، ضمن قضية كبرى "مسكوت عنها" منذ أيام الحكم العثماني"." [51].

إن اعتراض الأزهر على الشيخ عنتر مسلم، ليس اعتراضا على تلوين الأداء من خلال القراءات السبع أو العشر، ولكن اعتراض الأزهر على القراءات الشاذة التي تكررت في قراءاته كما سبق.

(51) الكاتب طايع الديب: "الكروان الممنوع: قصة القارئ الشيخ عنتر مسلّم" للكاتب، وكالة الصحافة العربية القاهرة، يوليو 2020، عن دار "ناشرون"، ص78.

الخاتمة والنتائج

1 – بالمقارنة بين القرطبي والأزهر في أداء قراء مصر تبين ما يأتي:

– الأول كان سبب اعتراضه على أداء القارئ المصري، والثاني على الأداء والقراءة بالشاذ.

–الأول فتواه كانت فردية، بينما الثاني فتواه جماعية لكونه مؤسسة علمية.

–الأول كانت فتواه في طور النشأة وعدم وضوح الرؤية للحكم، بينما الثاني بعد استقرار علم المقامات وشيوع تعلمه ودراسة حكمه من خلال مجامع علمية.

–الأول رأيه مرجوح لضعف أدلته واعتراض كبار علماء عصره عليه، بينما الثاني راجح لقوة أدلته ولكونه رأى الجمهور، وأضيف هنا دليلًا لرجحان الثاني، أن أداء قراء المدرسة المصرية مؤثر للمستمع وجاذب لإنصات المقرىء ولا يقل شأنه عن الداعي الماهر في دعوته للإسلام، فقد أسلم على يد قراء مصر في فترة الخمسينات عندما قرأوا في ربوع العالم عشرات الألاف.

–كل من القرطبي والأزهر كان حرصهما ضبط الأداء القرآنى لدى القراء، وعدم الخروج عن الأداء الصحيح لكتاب الله تعالى.

2–الألحان في غالب من تغنّى بالقرآن من قراء مصر لا يخرج عن التلحين البسيط، وذلك جائز، وهو من التغني الممدوح المحمود وعلى هذه الحالة يحمل الحكم بالجواز والاستحباب، وهذا ما تميز به الأداء القرآني للقارئ المصري دون غيره من القراء على مستوى العالم الإسلامي؛ من أمثال الشيخ محمد رفعت ومصطفى إسماعيل، ومحمد صديق المنشاوي، وعبدالباسط عبد الصمد، ومحمود البنى وغيرهم..

3–قواعد التلاوة والتجويد تجعل لأسلوب القرآن الكريم انسجامًا وإيقاعًا عذبًا جميلاً، وهذه القواعد ليست شيئًا طارئًا على القرآن، وليست خارجة عنه بل هي من ذات القرآن، لأنها أصول تتعلق بصحة تلاوته، فالتجويد حليه التلاوة وزينة القراءة، وهذا هو ما ميز غالب قراء مصر.

4–يمكن وصف أداء عنتر مسلم بأنه أقام ثورة في عالم قراءة القرآن ولولا ما وقع منه من أخطاء، لكان نقطة تغير في أداء مدرسة قراء مصر.

مصادر البحث ومراجعه

1- إبراهيم محمد الجرمي: معجم علوم القرآن، ط1، دار القلم – دمشق، 1422 هـ – 2001 م.

2- ابن البَاذِش(أبو جعفر أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري الغرناطي)(ت: 540هـ): الإقناع في القراءات السبع، دار الصحابة للتراث.

3- البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل)(ت: 256هـ): صحيح البخاري، تحقيق: د/ مصطفى ديب البغا، ط3، دار ابن كثير، اليمامة- بيروت، 1407هـ- 1987م.

4- ابن بطال (أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك القرطبي)(ت: 449هـ): شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط2، مكتبة الرشد – الرياض / السعودية، 1423هـ – 2003م.

5- التلمساني (أحمد بن محمد المقري): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت –لبنان، ط1، 1997م.

6- الحاكم النيسابوري(أبو عبدالله محمد بن عبدالله)(ت:405هـ): المستدرك على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت – 1411هـ -1990م.

7- ابن حجر العسقلاني(أبو الفضل أحمد بن علي): فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت.

8- ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي)(ت: 808هـ): مقدمة ابن خلدون، ط5، دار القلم – بيروت، 1984م،1/.426

9- أبو داود(أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني)(ت: 275هـ): سنن أبي داود، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط دار الرسالة العالمية، بيروت، 1430هـ – 2009م.

10- الزركشي(أبو عبدالله بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي)(ت: 794هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، ط. دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاته، 1376هـ- 1957م.

11- طايع الديب: الكروان الممنوع: قصة القارئ الشيخ عنتر مسلّم، وكالة الصحافة العربية- القاهرة، يوليو 2020، عن دار "ناشرون".

12- ابن العربي المالكي(أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله)(ت: 543هـ): أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 2003م.

13- علي محمود خليل: مذكرات في علوم القرآن، ط / دار شوشة للطباعة.
14- القرطبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرج)(ت:671هـ):
-التذكار في أفضل الأذكار: ط دار البيان، دمشق، ط3، 1407هـ.
- الجامع لأحكام القرآن: تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2، دار الكتب المصرية –القاهرة، 1384هـ - 1964 م.
15- ابن ماجة(أبوعبد الله محمد بن يزيد القزويني)(ت:275هـ): سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط دار إحياء التراث العربي، د.ت.
- سنن ابن ماجة: تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
16- محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى القرآن، ط. دار الفكر العربي، د.ت.
17- محمد داود: العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، 2001م.
18- محمد رجب البيومي: مقال بعنوان "نشاز في تلاوة القرآن"، جريدة صوت الأزهر، عدد الجمعة الموافق 12 محرم 1422هـ /6 إبريل 2001م.
19- محمود خليل الحصرى ، مع القرآن الكريم ، الطبعة الرابعة ، القاهرة 2012
20- محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، ط دار الثقافة، الدوحة –قطر، 1985 م.
21- مسلم(أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري)(ت: 261هـ): صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
22- مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ط دار الكتاب العربي، د.ت.
23-النووي(أبو زكريا يحيى بن شرف الدين)(ت: 676هـ): التبيان في آداب حملة القرآن، ط1، الوكالة العامة للتوزيع – دمشق، 1403هـ - 1983م.
24- ياقوت الحموي(أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي)(ت:626هـ): معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ط1، دار الكتب العلمية - بيروت - 1411 هـ - 1991م.